# 132458 - كيف يتطابق قوله تعالى عن اليهود : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ) مع واقعهم الحالي؟

## السؤال

يقول الله سبحانه وتعالى عن اليهود في السورة رقم 3 آية 112 ( باءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ) ، لكن يبدو أن أحوال اليهود حسنة ، ويبدو أنهم أثرياء ، ويبلون حسناً ، فهل بوسعكم – رجاء – التفسير ، بارك الله فيكم .

## الإجابة المفصلة

الآية الكريمة التي ذكرها السائل هي قوله تعالى : (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) آل عمران/112 .

وأما معناها : فقد قال ابن كثير رحمه الله :

أي : ألزمهم الله الذلة ، والصَّغَار ، أينما كانوا ، فلا يأمنون (إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ) أي : بذمَّة من الله ، وهو عَقْد الذمة لهم ، وضَرْب الجزية عليهم ، وإلزامهم أحكام الملة ، (وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ) أي : أمانٌ منهم ، ولهم ... .

وقوله : (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) أي : أُلزموا ، فالتزَمُوا بغضب من الله ، وهم يستحقونه .

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ) أي : أُلزِموها قدراً ، وشَرْعاً ، ولهذا قال : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ) أي : وإنما حملهم على ذلك : الكبْر ، والبَغْي ، والْحسَد ، فأعْقَبَهم ذلك : الذِّلة ، والصَّغار ، والمسكنة ، أبداً ، متصلا

بذلة الآخرة ، ثم قال تعالى : (ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) أي :
إنما حَمَلهم على الكفر بآيات الله ، وقَتْل رُسُل الله ، وقُيِّضوا لذلك : أنّهم
كانوا يُكثرون العصيان لأوامر الله عز وجل ، والغشيان لمعاصي الله ، والاعتداء في
شرع الله ، فَعِياذًا بالله من ذلك ، والله المستعان .

"

تفسير ابن كثير " ( 2 / 104 ) .

والذلة التي ضربها الله على اليهود تشمل الذلة القدرية التي قدَّرها الله عليهم ،
والذلة الشرعية ، بمعنى أن الله تعالى أمرنا بإذلالهم ، بضرب الجزية عليهم .

قال
الطبري رحمه الله :

و "
الذلة " هي الصغار الذي أمر الله جل ثناؤه عبادَه المؤمنين أن لا يعطوهم أماناً على
القرار على ما هم عليه من كفرهم به ، وبرسوله ، إلا أن يبذلوا الجزية عليهم لهم .

"

تفسير الطبري " ( 2 / 136 ) .

وقال رحمه الله :

أخبرهم الله جل ثناؤه أنه يبدلهم بالعز ذلاً ، وبالنعمة بؤساً ، وبالرضا عنهم
غضباً ، جزاء منه لهم على كفرهم بآياته ، وقتلهم أنبياءه ورسله ، اعتداءً ، وظلماً
منهم بغير حق ، وعصيانهم له ، وخلافاً عليه .

"

تفسير الطبري " ( 2 / 137 ) .

وسبق قول ابن كثير رحمه الله : " أُلزِموها قَدراً ، وشَرْعاً " .

فالله تعالى قدَّر عليهم الإذلال بسبب كفرهم ، وفسادهم ، وحكم به عليهم شرعاً بما
ضربه عليهم من الجزية .

ومن
هذا الباب قول تعالى :
(
وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ
يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ) الأعراف/ 167 .

قال
ابن كثير رحمه الله :

قوله : (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ) أي : على اليهود ، (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ) أي : بسبب عصيانهم ، ومخالفتهم أوامر الله ،
وشرعه ، واحتيالهم على المحارم .

ويقال : إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين ، وقيل : ثلاث عشرة سنة ،
وكان أول من ضرب الخراج ، ثم كانوا في قهر الملوك ، من اليونانيين ، والكشدانيين ،
والكلدانيين ، ثم صاروا في قهر النصارى ، وإذلالهم إياهم ، أخذهم منهم الجزية ،
والخراج ، ثم جاء الإسلام ، ومحمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، فكانوا تحت صغاره ،
وذمته ، يؤدون الخراج ، والجزية .

"
تفسير ابن كثير " ( 3 / 497 ) .

وهذا هو واقع اليهود على مرِّ الأزمان ؛ وحتى في هذا العصر الحديث لا تجد لهم محبة
، ولا قبولاً في الأرض ، وما مذابح الأوربيين لهم في " أوربا " ببعيد ، وهم يؤمنون
بذلك , ولذلك لا يعيشون إلا منعزلين ، منطوين ، أو أذلاء يستجدون النصرة من دول
الكفر ، والمنظمات الدولية .

قال
ابن القيم رحمه الله في وصف اليهود – :

فالأمّة الغضبية هم اليهود ، أهل الكذب ، والبهت ، والغدر , والمكر ، والحيل ,
قتلة الأنبياء , وأكلة السحت – وهو الربا ، والرشوة – أخبث الأمم طوية , وأرداهم

سجية , وأبعدهم من الرحمة , وأقربهم من النقمة , عادتهم البغضاء , وديدنهم العداوة والشحناء , بيت السِّحِر ، والكذب ، والحيل , لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم الأنبياء حرمة , ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة , ولا لمن وافقهم حق ، ولا شفقة , ولا لمَن شاركهم عندهم عدل , ولا نَصَفَة , ولا لِمَن خالطهم طمأنينة , ولا أمَّنة , ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة ، بل أخبثهم : أعقلهم ، وأحذقهم : أغشهم , وسليم الناصية – وحاشاه أن يوجد بينهم : ليس بيهودي على الحقيقة , أضيق الخلْق صدوراً , وأظلمهم بيوتاً , وأنتنهم أفنيةً , وأوحشهم سجيَّةً , تحيتهم : لعنة , ولقاؤهم : طيرة ، شعارهم : الغضب , ودثارهم : المقت .

"

هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى " ( ص 8 ) .

وهذه صفات اتفق عليها القاصي والداني ، والقريب والبعيد ، ولذلك لوحقوا ، وطوردوا ، على مر الزمان ؛ وحتى في هذا العصر لا ينعمون بالأمان حتى في دولتهم المزعومة .

ثانياً:

أما
ما يقوله الأخ السائل من وجود " الغنى " و " العز " لليهود في زماننا هذا : فهو لا يخالف معنى الآية ، وبيان ذلك من وجهين مُجملين :

1.
ضرب الذلة والمسكنة على اليهود لازم لا يتخلف ، وقد استثنى الله تعالى في " الذلة " – لا المسكنة – بقوله : ( إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ) فما تراه هو من هذا ، وأما بمجردهم : فهم أحقر من أن يكون لهم عز ، ونصر ، ولذلك لا يُعرف لهم انتصار في معركة دخلوها وحدهم ، ولا يزالون في حاجة إلى الشرق والغرب لتثبيت دولتهم ، فإما مددهم من الله ليذل بهم من تركوا دينه ، أو حبل من الناس : عهد وميثاق مع المؤمنين ، أو تحالف مع دول الكفر لنصرتهم ، وتأييدهم .

قال
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

وأمَّا كون اليهود كانوا ينتصرون على العرب : فهذا لا يُعرف ، بل المعروف خلافه ,
والله تعالى قد أخبر بما يدل على ذلك ، فقال تعالى
: (
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ
وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ) آل عمران / 12 ، فاليهود من حين ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا
بحبل من الله ، وحبل من الناس : لم يكونوا بمجردهم ينتصرون ، لا على العرب ، ولا
غيرهم ، وإنما كانوا يقاتلون مع حلفائهم قبل الإسلام ، والذلة ضربت عليهم من حين
بعْث المسيح عليه السلام فكذبوه ، قال تعالى :
(
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ
وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ
الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ
فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) آل عمران/ 55 ، وقال
تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى
عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ) الصف/ 14 .

"
مجموع الفتاوى " ( 1 / 302 ) .

وقال الطاهر بن عاشور رحمه الله :

والمعنى : لا يسلمون من الذلّة ، إلاّ إذا تلبَّسُوا بعهدٍ من الله ، أي : ذمّة
الإسلام ، أو إذا استنصروا بقبائل أولى بأس شديد ، وأمّا هم في أنفسهم : فلا نصر
لهم ، وهذا من دلائل النُّبوّة ؛ فإنّ اليهود كانوا أعزّة بيثربَ ، وخيبر ، والنضير
، وقريظة ، فأصبحوا أذلّة ، وعمَّتهم المذلّة في سائر أقطار الدنيا .

"
التحرير والتنوير " ( 4 / 56 ) .

2.
أن " المسكنة " ليست هي " الفقر " ، بل لعلهم أغنى الناس ، لكن المسكنة التي ضربها الله عليهم هي إظهار فقرهم ، وبُخلهم بما في أيديهم ، وقد أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أنه ( لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى
غِنَى النَّفْسِ ) رواه البخاري ( 6081 ) ومسلم ( 1051 ) ، وأنَّى لهؤلاء هذا الغنى
؟! .

وقد
ردَّ الشيخ العثيمين رحمه الله على ما ذكره الأخ السائل ، وقد لخَّصنا كلامه في نقاط ، نرجو أن تكون مفيدة .

قال
الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ( وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ) البقرة/
من الآية 61 – :

(
وضربت عليهم الذلة والمسكنة ) :

1.
خبرٌ مِن الله عن بني إسرائيل أنه ضُربت عليهم الذلة والمسْكنة ، ( الذلة ) هذه في الشجاعة ، أذلة ، لا يقابِلون عدوّاً ، قال الله تعالى : ( لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ
جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ) الحشر/14 .

2.
و ( المَسْكَنة ) يعود إلى الفقر ، فليس عندهم شجاعة ، وليس عندهم غِنى ، لا كرماً بالمال ، ولا كرماً بالنفس ؛ لأن الشجاعة كرم بالنفس ، يجود الإنسان بنفسه لإعلاء كلمة الله ، والكرم : جود بالمال ، ثم – والعياذ بالله – ما حصل لهم هذا ، ولا هذا ، بل العكس ( ضُرِبَت عَلَيْهِم الذِّلَّة ) فلا شجاعة عندهم ، وضربت عليهم المسكنة

فلا جود عندهم ، ولهذا لا يوجد أمَّة أفقر من اليهود ، ولا أبخل ، أي : لا أفقر قلباً منهم ، وليس مالاً ، وإلا فأموالهم كثيرة .

3.

فهذه الذلة – والعياذ بالله – عليهم مضروبة ، وكذلك المسْكنة ، فإذا قال قائل : الواقع خلاف هذا الأمر ؟! قلنا : لا يمكن أن يكون الواقع مخالفاً لكلام الله ، ورسوله ، وإنما الخطأ في الفهم ، والتصور ، أما كلام الله : فلا يختلف ، فنقول :

هذه

الآية مطلقة – أي : قوله تعالى : (وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ) البقرة/61 – وفي قوله تعالى في آل عمران : (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ)آل عمران/112 : يقيِّد هذه الآية ، ويصير المعنى : " ضُربت الذلة والمسكنة إلا بحبلٍ مِن الله وحبلٍ مِن الناس " ، فإذا وصلهم الله تعالى ، أو وصلهم الناس : فإنهم تزول عنهم الذلة ، ويكون معهم شجاعة ، وقوة .

4.

الحبل من الله ما هو ؟ قيل : إنه الإسلام ، والحبل من الناس : أن يمدهم الناس غير اليهود بما يمدونهم به ، فاليهود الموجودون الآن في حبلٍ من الناس يمدهم ، وهم النصارى في كل مكان ، يمدونهم ؛ لأن الله يقول : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ) المائدة/51 ، وهذا خبر ، والخبر من الله : لا يُخلف ، النصارى تمدهم من جميع أقطار الدنيا ، إما علناً وإما سرّاً ، وإما مباشراً أو غير مباشرٍ .

5.

الحبل من الله قلنا : إنه الإسلام – على ما ذكره كثير من أهل العلم – ويحتمل عندي : أنه أعم من الإسلام ؛ لأنهم إذا أسلموا : زال عنهم وصف اليهودية ، وصاروا من المسلمين ، لكن عندي أنه ( حبل من الله ) : أن الله قد يسلطهم على غيرهم ؛ عقوبةً لهم ، قد يُسلَّطون على غيرهم ، وتكون لهم الغلبة ، عقوبة على الآخرين ؛ لعلهم يرجعون إلى الله عز وجل ، لا سيما إذا كانوا من أمَّة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعصوا وأَبعدوا عن هذه الملة : فإن الله عز وجل يسلِّط عليهم مَن شاء مِن خلقه ؛

لعلهم يرجعون ، وهذا الأمر هو الواقع ، لو نظرنا إلى الذين جعلوا أنفسهم في مسير هؤلاء اليهود – وهم العرب – : لوجدنا أكثرهم ضالين – ولا سيما ذوي القيادات منهم – منحرفين عن الحق ، بل ربما يصل أمر بعضهم إلى الكفر – والعياذ بالله – ، فلذلك يسلَّط عليهم هؤلاء ، ويحصل ما يحصل .

.6

إذن يزول عنَّا الاشتباه في قوله : ( وَضُرِبَت عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ ) : " لماذا نراهم الآن في هذه الحال ، والآية خبرٌ من الله ، وخبر الله حق وصدق ، لا يمكن أن يتخلف " :

فالجواب :

أن
هذه الآية مقيَّدة بقوله تعالى ( ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ) ، وانظر التقييد في " آل عمران " : تقييد في الذلة فقط ، لكن المسكنة غير مقيدة ، ولذلك هم مضروب عليهم المسكنة أينما كانوا ، ولا يمكن أن يبذلوا قرشاً إلا وهم في أملٍ أن يحصلوا درهماً ، فالمسكَنة مطلقة ، والمذلة مقيدة ، ( إلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ الله وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ ) .

"
تفسير سورة البقرة " ( الشريط رقم 10 ، وجه أ ) .

والله أعلم